# التنبيه الجلي

## للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي

بقلم

**أ.د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني**

أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلامضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولهﷺ. **أما بعد:**

فإن محاورات علمية عديدة منشورة متداولة قد أجريت مع غير مسلمين من علماء في الفلك وفي علم الأجنة وفي علوم الأرض، لقصد الدعوة إلى الدخول في الإسلام بالاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن.

والكلام في إعجاز القرآن كلام في عقيدة، لأن إعجاز القرآن وبقاءه محفوظاً إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، دليلان على ربوبية الله عز وجل، فإعجاز القرآن من مسائل توحيد الربوبية الذي هو دليل الألوهية ومناطها.

وهما كذلك دليلان على ثبوت نبوة النبي محمد ﷺ وصحة رسالته، فإعجاز القرآن من مسائل الإيمان بالنبيين.

فالقول في إعجاز القرآن صحة وفساداً إنما يكون عن صحة عقيدة أو فسادها وينبني عليه صحة الاعتقاد أو فساده.

ولما كانت تلك المحاورات تتضمن مقارنة آيات القرآن الواردة في بعض علم الفلك وعلم الأجنة بما قررته تجارب ومشاهدات علمية مخبرية وتقنية في هذين العلمين، وجعلت هذه المقارنة دلائل يُستجلى بها إعجاز القرآن، فتقام بذلك الحجة لوجوب الدخول في الإسلام وعدم الإعذار مع الحجة عن الإعراض عنه، وكانت النتائج العلمية غير سالمة من الخطأ وهي عرضة للتغيير؛ لما كان ذلك كذلك ظهر قدر هيبة هذا الأمر وعظم خطره، فإن الخطأ في الاستدلال والزلل في المقارنة يتسببان في قلب التسليم المطلوب حصوله إلى تمكُّن إعراض، واليقين المقصود إنشاؤه إلى تأصُّل شك.

وفي قلب الاستدلال للزوم اعتناق الإسلام في الدعوة إليه، إلى استدلال للإغراء بالخروج عنه في الدعوة ضده، وفي قلب الإعلان بمناقب الرسالة، إلى ترويج للشبهات حولها.

فليس الأمر بالهيّن، ولا هو في متناول كل من دبّ في شعابه.

وليس لأحد أن يفهم من هذا الحط من رتبة هذه الحوارات والغمز في من أجراها، ولكنه تذكير بأصلٍ متفقٍ عليه، هو قاعدة من قواعد بناء الكلام في إعجاز القرآن، وباب من الأبواب الموصدة دونه، وعنوان من عناوين غُلفه.

ثم إن الاستدلال بألفاظ كلام الله وحمله على معانٍ يُتكلم فيها لابد أن يكون عن علمٍ بوجوه كلام العرب الذي نزل القرآن به، واستقراءٍ لأقوال أهل العلم، وفهمٍ صحيح صريح، وتيقُّنٍ من وقوع الألفاظ على المعاني المرادة واحتمال الكلام للمعنى المحمول عليه، ولا تجوز المجازفة في هذا الباب.

هذا ، ولقد حررت تنبيها حسبت أن فيه منعاً للقول في كتاب الله بغير ما تحتمله ألفاظه، وصيانةً للاعتقاد من ذريعة إلى

وقوع في باطل، ومطلباً للتحقيق⁽¹⁾، فدفعتُها للنشر رجاء حصول هذا النفع، والله المقصد، وبه المستعان، وعليه التكلان، وهو الموفق لا شريك له.

وكتبه أ.د.محمد بن عبدالرحمن أبو سيف الجهني.

شعبان ١٤١٨هـ

---

(١) تحقيق الشيء: تصفيته وتخليصه من الشوائب.

# التنبيه الجلي للمشتغل في إعجاز القرآن العلمي

إن المقصود من محاورة العلماء في الفلك والأجنة وعلوم الأرض من غير المسلمين الاحتجاج لكون القرآن وحي من الله لنبيه محمد ﷺ بالإعجاز فيه.

والاحتجاج بالإعجاز في القرآن لصحة الرسالة مسلك شرعي، فإن الله جعل الحجة على الخلق لرسالة نبيه في إعجاز كتابه.

ومعلوم من أدلة الكتاب والسنة أن حجية القرآن باقية حتى يُرفع، وأن لا حجة للخلق على الله بعده، وأن حجيته على غير المؤمنين به في إعجازه، قال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾الإسراء ،

فتحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله وحسم النتيجة فأخبر أنهم لا يأتون بمثله ولو تعاونوا جميعا على ذلك.

وقال سبحانه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ هود ،وقال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ البقرة ، فجعل الله ﷻ العجز عن الاتيان بمثل القرآن أو بمثل شيء منه ولو سورة دليلاً على أنه منه وعلى وحدانيته ولزوم متابعة رسوله ﷺ وتصديقه فيما أخبر، قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ الأنعام: ١٩ ، وقال ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة".(١)

فأخبر ﷺ أن القرآن هو معجزته العظمى التي يؤمن عليها له البشر، ولما كانت هذه المعجزة باقية إلى قيام الساعة تدعو الخلق

---

(١) متفق عليه، البخارى مع الفتح ٣/٩، ح٤٩٨١، ومسلم ١٣٤/١، ح١٥٢.

كافة إلى الإيمان برسالته ﷺ وإعجازها معها رجى ﷺ أن يكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

قال الباقلاني: "أما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة، عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد".(١)

وقال ابن حجر: "معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون".(٢)

وقد ذكر الناس أنواعاً متعددة لإعجاز القرآن قال فيها ابن تيمية –رحمه الله-: "وكل ما ذكره الناس من وجوه إعجاز القرآن هو

---

(١) إعجاز القرآن ٣١.

(٢) فتح الباري ٩/٧.

حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له".(١)

وقد دل كتاب الله على أن من أنواع إعجاز القرآن ما يظهر للناظرين في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات التي يتبين لهم بها أن القرآن حق وأنه من عند الله الشهيد على كل شيء فقال سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾ فصلت.(٢)

وهذا هو موضوع المحاورات التي وقفتُ عليها في بعض المنشورات المتداولة ، آيات في الآفاق ظهرت لعلماء الفلك وعلماء

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٥.

(٢) وهذه الآية وإن كانت نزلت أولاً في أهل مكة المكذبين للنبي ﷺ في عصره إلا أن العبرة بعموم لفظها وبقاء حكمها في سائر المكذبين في سائر الدهر، وفي كتب التفسير عدة أقوال لأهل العلم في تفسير {**الآفاق**} و{**في أنفسهم**} منها: أن المراد بالآفاق آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، والمراد بـــ{**في أنفسهم**}: حوادث الأرض و ما في خلق الإنسان نفسه. انظر: تفسير الطبري ٥/٤، وزاد المسير ٧/٢٦٧.

الجيولوجيا، وآيات في الأنفس ظهرت لعلماء الأجنة ، استدل المحاورون بورودها في القرآن على أنه من عند الله.

وقد تناولت المحاورات بيان أطوار الأجنة التي لم يعلم العاكفون على التجارب المخبرية علمها أو علم شيء منها إلا في العصر الحديث وبآلة تقنية متطورة، وجاءت النتائج في تقرير المحاورين موافقة لما ورد في كتاب الله.

وهذا باب دعى الله في كتابه خلقه إلى النظر فيه والاعتبار به، فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ ﴾ الطارق ، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٧٧ ﴾ يس.

وتناولت المحاورات النظر في خلق الجبال، وهو باب دعى الله إلى النظر فيه فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ الغاشية:١٧- ١٩.

وهكذا ، فموضوع المحاورات موضوع شرعي لامحذور فيه.

إلا أنه ينبغي التنبه إلى أن الاندفاع إلى مقارنة نصوص القرآن بما ثبت من الحقائق العلمية من غير احتراز وانضباط والتزام

بقواعد استنباط المعانى من النصوص يوقع في تجاوزات تؤدي إلى عكس المقصود، فترفع هيبة النص وجلالته، وتدفع إلى امتهانه، بالجرأة على التلاعب بمعانيه من قبل المستدلين به المحتجين له وإن لم يقصدوا التلاعب، وبالاستهزاء به من قبل المحتج عليهم ، ولذا فهذا باب لا يجوز فتحه إلا بحذر وعلى قدر.

ثم على من يلج منه مع أخذه الحيطة لا يجوز أن يقدم رجلاً فيه إلا بعد اطلاع واسع متمكن لمعاني ألفاظ النصوص وتراكيبها و أفهام أهل العلم لها وأقوالهم فيها.

ولقد ظهر لي في بعض ما وقفت عليه من تلك المحاورات اندفاع أدى إلى شيء من المحذور أرغب قبل ذكر أمثلة له التذكير بقواعد هامة معلومة في هذا الباب وهي تنبيهات عامة، وهي:

١- أن القرآن ليس كتاباً للعلوم الكونية والتجريبية بل هو كتاب التوحيد ليس إلا، به وله أنزل، وما فيه من الآيات في الكون والعلم إنما سيق دليلاً للتوحيد وبرهاناً لتقريره.

٢- أن القرآن شاهد على العلم ومهيمن عليه، والعلم تابع.

٣- أن الحقائق العلمية التي يظهرها البحث والنظر غير سالمة من الخطأ ، وهي عرضة للتغيير، فلا ينبغي نصبها لمقارنة مع آيات القرآن التي هي قواطع مطلقة لا يطرأ عليها جديد ولا يعتريها تغيير.

٤- أنه إن ظهرت موافقة حقيقة علمية لدلالة في القرآن، وقامت حاجة لعرض هذه الموافقة والاستدلال بها، فالواجب أولاً التأكد من دلالة القرآن على المعنى الذي وقعت فيه الموافقة، ثم التأكد من تمام الموافقة وتحرير موضعها ووجهها وعدم تخلّف شئ منها.

٥- أنه كما أن معرفة كون القرآن معجزاً والإقرار بذلك غير كافٍ في حصول الإسلام، فكذا بيان إعجاز القرآن وإيقاف الخلق على مواضعه ووجوهه غير كافٍ في الدعوة إلى الإسلام ، بل إن منهج النبوات هو: الدعوة إلى التوحيد ثم إذا دعت حاجة من وجود معارضة وإنكار ونحوه يُستدل بالمعجزة ، فالمعجزة للحاجة وعلى قدرها وليست أصلاً ولا مطلوبة لذاتها.

٦- قد ظن بعض المهتمين بهذا الطريق من العلم أن:"طبيعة المعجزة في القرآن هي العلم الذي فيه" وقد رأيتُه مصرحاً به في بعض المنشورات ، وهو بهذا الإطلاق خطأ ، فإنه إن كان المقصود بالعلم المعاني والدلالات، وأن طبيعة الإعجاز إنما هي في هذا فحسب ، فإن هذا خطأ، إذ ليس إعجاز القرآن في معانيه فقط، بل لما كان القرآن كلاماً، والكلام ألفاظ تتضمن معنى، كانت طبيعة إعجازه في نوعين جامعين مجملين هما: اللفظ والمعنى.

فلا يخرج نوع من أنواع إعجازه عن أن يكون في أحد هذين الأصلين، وإن كان الإعجاز في معناه أعظم وأكثر كما قال ابن تيمية -رحمه الله-: "الإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه".(١)

فإعجاز القرآن اللغوي إعجاز في اللفظ والمعنى.

في اللفظ: في الحرف في موضعه، والكلمة في اشتقاقها وموضعها وفصاحتها، والجملة في نظمها وبديع تصرفاتها.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٨.

وفي المعنى: في أهميته وقوته وبلاغته.

وإعجاز القرآن التشريعي إعجاز في اللفظ والمعنى.

في اللفظ: في وقوع مبناه على ما في معناه من الأحكام.

وفي المعنى في ما يدل عليه ظاهر اللفظ وما يتضمنه تضمناً وما يلتزمه التزاماً من الأحكام.

والإعجاز العلمي في القرآن إعجاز لفظ ومعنى كذلك، ولقد تضمنت بعض المحاورات المنشورة الإشارة إلى إعجاز علمي في ألفاظ القرآن ، إذ قد تُكلم فيها عن مناسبة اسم العلقة والمضغة في أطوار الجنين مع مسماها أحسن المناسبة وأبدعها وأتمها، عجز العلماء أن يضعوا مثله في تسميتهم لأطوار الأجنة.

وفيما يلي ذكر أمثلة مما وقفت عليه في بعض المنشورات مما بدى لي فيه وقوع في المحذور المذكور:

## المثال الأول:

الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الروم ، على أن البحر الميت أخفض منطقة على الأرض لدعوى أن "أدنى الأرض" هي نفس المنطقة التي دارت فيها المعارك، وادعاء أن

"أدنى" تستعمل بمعنى أخفض فيصح حمل معنى الآية عليه لدعوى أن اللفظ من القرآن يحتمل أكثر من معنى.

**قلت:** لفظ "أدنى" لا يطلق في العربية التي نزل بها القرآن إلا على أحد المعاني التالية:

**الأول:** "الأقرب": من الدنو، وهو القرب، وهذا معناه في الآية باتفاق أهل العلم.

**الثاني:** "الأخس": من الدناوة، وهي الخسة.

وهذان المعنيان من "دَنَى" المعتل.

**الثالث:** "الأخبث" من الدناءة، وهي الخبث والمجون. وهذا المعنى من: "دَنُؤَ" المهموز.(١)

---

(١) ونقل الأزهري عن الزجاج أن: "الأخس" إنما يكون من دنأ المهموز، وقال الأزهري: "والذي قاله غير محفوظ" وبيَّن أن أهل اللغة لا يهمزون دنو في باب الخسة وإنما يهمزونه في باب المجون والخبث، ونقل ذلك عن عدد من أئمة اللغة. انظر: تهذيب اللغة ١٤/١٨٧-١٨٨، ومعجم مقاييس اللغة ٢/٣٠٣، ولسان العرب ١/٧٨، وجعل الجوهري: "الأخس" من دنأ المهموز، انظر: الصحاح ١/٥٠و ٦/٢٣٤٢.

وجاء في القرآن بمعنى: " الأقل"، في قوله: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ المجادلة: ٧ وهو في الاشتقاق من الأول ، فإن الأقل أقرب في العدِّ ، ينتهي إليه العادُّ قبل ما بعده.

وإطلاقه على: "الأخفض" إطلاق عاميّ حادث ولا يجوز حمل كلام الله عليه ، فالقرآن إنما نزل بلغة العرب حين أنزل إليهم.

ودعوى أن اللفظ الواحد من القرآن يحمل معاني كثيرة غير مقبولة على إطلاقها، لأن ذلك غير مطرد في جميع ألفاظ القرآن بل إن في ألفاظه الكثير مما لا يحمل إلا معنى واحد، وما كان من ألفاظه يحمل معاني كثيرة فهو إنما كان يحملها لأن له على كل واحد منها وجه يقبل حمله عليه، أما مالا وجه له من المعاني فلا يجوز حمله عليه البتة، ثم إن ما كان له من المعاني في اللفظ وجه في العربية إلا أن دليلاً قام على عدم إرادته في موضعه من كلام الله فلا يصرف اللفظ عليه البتة.

ودعوى أن المنطقة التي دارت فيها المعارك -المقصودة في الآية- هي نفس المنطقة الأخفض من الأرض دعوى غيرصحيحة لوجهين:

**الأول:** أن المعركة التي غلبت فيها الروم لم تكن في قاع البحر الميت -الذي هو الأخفض من الأرض- ولا على وجه مائه البتة، لم يقل هذا أحد ولا يتصوره أحد لأسباب ظهورها مغنٍ عن ذكرها.

**الثاني:** أن للمفسرين في المراد بـ"أدنى الأرض" ثلاثة أقوال:

١- أنه الجزيرة - موضع بين الشام والعراق- وهو أدنى إلى أرض فارس.

٢- أنه أذرعات وبصرى - موضعان بالشام- وهو أدنى إلى أرض العرب.

٣- أنه الأردن وفلسطين، وهو أدنى إلى أرض الروم.(١)

والحاصل أن المعركة وقعت في اليابسة من أرض الشام وليست الأخفض في الأرض وليس في الآية أدنى ذكر أو إشارة لأخفض منطقة في الأرض، ولا باب للتمحل والتكلف.

## المثال الثاني:

---

(١) انظر: تفاسير: الطبري ١٣/٢١، والبغوي ٤٧٧/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٦، والقرطبي ٤/١٤، وابن كثير ٤٢٣/٣، وغيرها

ورد في بعض المحاورات الاستدلال بقوله تعالى﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾الرحمن ، في الكلام على وجود حواجز مائية تفصل بين مياه البحار ومياه الأنهار، وبين مياه البحار ومياه المحيطات عند نقطة التقائها تمنع أن يبغى بعضها على بعض. وأوردت بعض المنشورات هنا ادعاء أن في كتب التفسير رأيين بارزين، رأي الجمهور في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قالوا: مرج معناها: خلط، هكذا في اللغة والمعنى: يلتقى بعضهما مع بعض ويختلطان، ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ أي: حاجز، ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾، أي: لا يطغى أحدهما عل الآخر.

والرأي الثاني: قالوا: كيف يكون بينهما برزخ؟ وكيف يوصفان بأنهما لا يبغيان؟ وتقولون: إن مرج معناها خلط، كيف يختلطان وبينهما برزخ وقد نفى الله بغي أحدهما على الآخر ؟!. فقالوا: إذاً الاختلاط لايتم ، وبحثوا عن معنى آخر للفظ مرج الذي يدل على الخلط، ولكن رد عليهم الجمهور بأن استدلالهم غير صحيح.ا.هـــ.

**قلت:** لا محل لاستخدام ألفاظ: "رأيان" و "رأي الجمهور" و "الرأي الثاني" و "بحثوا عن معنى آخر" ، إذ لا مجال للرأي هنا ولا للاجتهاد فالشأن إنما هو في لفظ: "مرج" على أي معنى وضعه في العربية التي نزل بها القرآن؟ ، فيؤخذ بوضع اللغة ويحمل عليه المعنى.

ومعنى "مرج" في اللغة: أرسل، ولذا اتفقت كلمة أهل العلم على أن معنى ﴿**مرج البحرين**﴾: أرسلهما وخلاهما⁽¹⁾، ولم يُنقل تفسيرها بمعنى: خلط إلا عن الزجاج⁽²⁾، وهو خلاف الأصل المتفق عليه. والذي بمعنى: "خلط" في لغة العرب: "أمرج" لا "مَرَج"، ويأتي "مَرِج" بكسر الراء بمعنى: اختلط.⁽³⁾

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٩٦/١٠، وتفسيرالطبري ٧٤/٢٧، وتهذيب اللغة ٧٢/١١، ومعجم مقاييس اللغة ٣١٥/٥، والصحاح ٣٤١/١، وتفسير القرطبي ١٦٢/١٧.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٧٢/١١، الصحاح ٣٤١/١، ولسان العرب ٣٦٥/٢.

(٣) انظر: الصحاح ٣٤١/١، ولسان العرب ٣٦٥/٢. وهذا هو الأصل المعتمد، لكن قال الأخفش كما في الصحاح واللسان وتفسير القرطبي: (ويقول قوم: أمرج البحرين

وهذا النقاش والاختلاف والرد والرفض في معنى "مرج" المذكور في السياق المنقول نصه لا وجود له في كتب التفسير البتة وهو تهويل لا أصل له، ولكن ثمة أقوال لآحادٍ من الأئمة في المراد بالبحرين وصفة التقائهما والبرزخ بينهما ومعنى كونهما لا يبغيان، وجاءت الأقوال متعددة بابها باب تعدد الأقوال لا باب المناقشة والمخالفة والأخذ والرفض، وليس ثمة جمهور وأقلية إذ هي أقوال منسوبة لأفراد معدودين ، كل منهم قال في معنى الآية بما ظهر له من لفظها من غير أن يمنع قولاً لغيره أو يقصد الرد عليه أو يشتغل بنقضه ، بل ربما لم يعلم به أصلاً.

ومن هذه الأقوال قول بأن المقصود بالبحرين:الأنهار الحلوة والبحار المالحة يصب أحدهما في الآخر من غير أن تنتقل حلاوة هذا إلى الآخر فتذهب ملوحته ولا أن تنتقل ملوحة هذا إلى الآخر فتذهب حلاوته.

---

= مثل مَرَجَ، فَعَلَ وأفعل بمعنىً)، فهذا قول الأخفش وحده لم يعرف عن غيره ، وهو دعوى لابد لها من دليل سماع ثابت أو قياس صحيح.

ثم إن تمايز البحرين عند التقائهما وعدم بغي أحدهما على الآخر أمر مشاهد معروف قديماً وليس هو بكشف علمي، وملاحظة برزخٍ بينهما لم تخف عن الناس من قديم، ولك هذا النقل:

قال ابن الجوزي: "قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عبدان من سواد البصرة الماء العذب ينحدر في دجلة نحو البحر، ويأتي المد من البحر، فيلتقيان، فلا يختلط أحد الماءين بالآخر، يُرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة، فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذباً لا يخالطه شيء وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد".(١)

## المثال الثالث:

ورد في بعض المحاورات التي موضوعها (معرفة الحقائق العلمية التي أشارت إليها بعض الآيات القرآنية) الاحتجاج بأن خلق الله

---

(١) زاد المسير ٦/٩٦، عند تفسير آية: {**وهو الذي مرج البحرين...**} من سورة الفرقان. وانظر: كتاب "الإسلام يتحدى" ص١٤٢-١٤٣.

ذكورَ النحل من بيض لم يلقح بماء الذكور يمنع استبعاد خلقه سبحانه عيسى عليه السلام من أم دون أب.

وفي هذا مأخذان :

**الأول:** أن هذا احتجاج بما لا ذكر له في كتاب الله(١) فلا علاقة له بمقصود المحاورات وهو (معرفة الحقائق العلمية التي أشارت إليها بعض الآيات القرآنية).

**الثاني:** أن خلق عيسى عليه السلام أمر اعتقادي التسليم فيه للخبر، ولا ينبغي أن نورد فيه ما يفسد التسليم من النظر والجدل، بل الواجب تجريده عن مثل هذه المقارنات صيانة للاعتقاد وسداً لذريعة القدح في التسليم.

وهذا الاحتجاج المذكور قد يَرِد عليه ما يشغب على حجيته، وذلك أن البيض الذي لم يلقح بماء الذكور ومنه خلقت ذكور النحل نتج في أصل خلقته من تلقيح ذكرٍ من النحل الملكةَ

---

(١) أعنى ذكر كون ذكور النحل تخلق من بيضٍ لم يلقَّح فإن هذا لاذكر له في كتاب الله.

فباضته، فلم ينفك الأمر عن أن يكون خَلْقٌ من تلقيح الذكر للأنثى.

ثم إن هذه الحجة قد تُردُّ من أصلها بأن يقال: إن هذا في خلق أمة من المخلوقات جرت السنة الكونية في وجودها على ذلك فلا يقاس عليها خلق الإنسان الذي جرت السنة الكونية في خلقه على نحو آخر.

فإن رجعت إلى قدرة من أجرى السنة الكونية على خرقها رجعت إلى أصل مستغنٍ بنفسه عن مثل هذه المقارنات.

فهذه أمثلة مما يسوق إليه الاندفاع إلى حمل آيات القرآن على الدلالة لما لا تحتمله من التقريرات العلمية ، وهي تبين أن ليس كل من قصد الصواب أصابه ، والله الموفق للصواب لا شريك له .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على النبي وسلم تسليما.